

أضواء البيان

@ 111 % (تأكل الرث والسمين ولا تترك % فيها لذي جناحين ريشا) % (هكذا في البلاد حي قريش % يأكلون البلاد أكلاً كميّشاً) % (ولهم آخر الزمان نبي % يكثر القتل فيهم والخموشا) % .

وقوله تعالى { رَحْمَةً الشَّيْءِ وَالصَّيْفِ } ، هو تفسير لإبلاق سواء على ما كانوا يؤلفون بين الملوك في تلك الرحلات ، أو ما كانوا يألفونه فيهما . { فَلَا يَعْزُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ } . المراد بالبيت : البيت الحرام ، كما جاء في دعوة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام { رَبِّ بَنِّدْ إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ } . وقوله تعالى : { الَّذِي أَطَعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } . بمثابة التعليل لموجب أمرهم بالعبادة ، لأنه سبحانه الذي هيا لهم هاتين الرحلتين اللتين كانتا سبباً في تلك النعم عليهم ، فكان من واجبهم أن يشكروه على نعمه ويعبدوه وحده . .

وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه بيان هذا المعنى ، عند قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرْوُوا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ } وساق النصوص بهذا المعنى بما أغنى عن إعادته . . تنبيه .

في قوله تعالى : { فَلَا يَعْزُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطَعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } ، ربط بين النعمة وموجبها ، كالربط بين السبب والمسبب . .

ففيه بيان لموجب عبادة الله تعالى وحده ، وحقه في ذلك على عباده جميعاً ، وليس خاصاً بقريش . .

وهذا الحق قرره أول لفظ في القرآن ، وأول نداء في المصحف ، فالأول قوله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، كأنه يقول هو سبحانه مستحق للحمد ، لأنه رب العالمين ، أي خالقهم ورازقهم ، وراحمهم إلى آخره .